

اجتهادات الاتفاق فيه سُم قاتل !

يصعب إبرام اتفاق سلامٍ ناجح بدون قدرٍ معقول من التوازن والتكافؤ بين الطرفين اللذين يتفاوضان. لا ينجح اتفاقٌ يحمل في سطورهِ، وبينها، بذور إخفاقهِ، وإن استمر العملُ به لعقود. وفي حالة عدم التكافؤ، لابد أن توجد مثل هذه البذور.

لا يُقدَّر الطرف الأضعف عواقب قبوله ما لا يجوز أن يقبله، وخاصةً إذا وافق على أن ينفرد الأقوى به، ولم يطلب مساعدة صديقٍ مُجرب ومؤمن بعدالة قضيته مثل مصر في حالة اتفاق أوصلو، وذهب إلى المفاوضات معتقداً أن أي اتفاقٍ أفضل من لا شيء.

وربما لا يدرك المفاوض الأضعف، الذي يقبل اتفاقاً غير متوازن، أنه كمن يتجرع سُمًا مصنوعاً بطريقة تجعله يفعل فعله0 وقد يحدث ذلك على مدى فترةٍ طويلةٍ ينهار خلالها الاتفاقُ المُسمَّم فعلياً، ولا يبقى فيه سوى السُم

الذى يحتوى عليه0 فقد لا يرغب طرفاه فى إلغائه، لأن أحدهما يستفيدُ منه، فيما الثانى لا يقدرُ على تمزيقه لأسبابٍ تختلفُ من اتفاقٍ إلى آخر.

وهذا هو حال إعلان مبادئ الحكم الذاتى الانتقالى المعروف باسم «اتفاق أوسلو»، الذى تحل ذكراه الثلاثون بعد أيام. كان الاحتفاء بهذا الاتفاق، عند توقيع نصه النهائى فى واشنطن، بمثابة «رقصة الموت» الأخيرة لأحد الموقعين عليه، وقبل الأخيرة للثانى. لم يُقدر متطرفون صهاينة لإسحق رابين أنه أتى فى هذا الاتفاق بما لم يفلح سابقوه فى مثله. لم يمض إلا عامان ونيف حتى أُغتيل خلال حضوره مهرجاناً للسلام الصهيونى فى قلب تل أبيب.

لكن 9 سنوات مضت بعد ذلك قبل أن يلحق به الزعيم الفلسطينى ياسر عرفات، الذى وقع الاتفاق معه، ثم مضى قدمًا كمن يذهبُ إلى حتفه، إذ حوصر فى مقر سلطته التى تباهى بها حتى رحل مشتبهًا فى أن جهةً إسرائيلية تمكنت من تسميمه خلال محاصرته، ولم يتيسر إثبات أن سُمًا هو ما تسبب فى موته. ولكن كثرت، فى

المقابل، الأدلة على أن الاتفاق فعَل فعل السُّم البطيء في
قضية فلسطين، فاشتد وهنها، ولكنها لم تمت، لأن
القضايا العادلة لا تموت أبدًا